الابداع في المنهج التفسيري (محمد باقر الصدر ومحمود البستاني انموذجا)

م.م عمار عاجل جياد
طالب دكتوراه في الدراسات القرآنية والحديثية بجامعة بوعلي سينا. همدان. إيران
أ.د. كرم سياوشي
أستاذ مشارك بجامعة بوعلي سينا. همدان. إيران

Creativity in the interpretive approach (Muhammad Baqir al-Sadr and Mahmoud al-Bustani as an example)

Asst. lec. Ammar Ajel Chyad
PhD student in Qur'anic and Hadith Studies at Bu Ali Sina University. Hamedan. Iran
ammaralaskari83@gmail.com
Prof. Dr. Karam Siyavoshi
Associate Professor at Bouali Sina University. Hamedan. Iran
Karam.siyavoshi@basu.ac.ir

الملخص

لقد كان ولا يزال القران الكريم محورا للبحث والدرس، حيث تناولته العقول على اختلاف مستوياتها وتوجهاتها ومناهجها وادواتها، حتى كان لهذا الكتاب العزيز حظوة كبيرة في ميدان الدرس الاستشراقي، وعناية العقل الإسلامي بشكل عام، كما لا تخفى جهود المدرسة الامامية في مجال القرآن وعلومه ومناهجه، الا ان هذه الجهود بحاجة الى أن ترسَّم حدودها، وتثبَّت حقوق الريادة لأصحابها، من هنا يندفع البحث في محاولة للتفتيش عن مكامن الابداع، وتحديد معالمه في العقل الامامي ضمن اطار المنهج القرآني، عبر توظيف منهج التحليل المقارن، من هنا كان الشهيد محمد باقر الصدر والدكتور البستاني عيّنة لمختبر الضوابط الإبداعية على مستوى المنهج، فتمخض من ذلك الاختبار نتائج إبداعية متنوعة على مستوى الاصطلاح والسبق في التأصيل، والنقد والتحليل، ورسم معالم المنهج الإبداعي.

الكلمات المفتاحية: المنهج البنائي، المنهج الموضوعي، الابتكار المنهجي، عمارة السورة، البستاني.

Abstract

The Holy Qur'an has been and continues to be a focus of research and study, as minds at different levels, orientations, approaches and tools have dealt with it, to the point that this dear book has had a great reputation in the field of Orientalist and Islamic study in general, and the forward efforts in the field of the Qur'an, its sciences and its methods are not hidden, but these Efforts need to demarcate their borders and establish the rights of leadership to their owners. From here, research is launched in an attempt to search for the sources of creativity and determine its features in the front

mind within the framework of the Qur'anic method, by employing the comparative analysis approach. The martyr Muhammad Baqir al-Sadr and Dr. Al-Bustani were an example for the laboratory of creative controls on At the level of the curriculum, this test resulted in various creative results at the level of terminology and precedence in rooting, criticism and analysis, and drawing the features of the creative curriculum.
Keywords: constructivist approac, objective approach, methodological innovation, Surah architecture, Al-Bustani

المقدمة

تعتبر مسألة المنهج من المسائل الأساسية التي تدور على قطبها المعرفة، فكل من يريد ان يتعرف على الوجود اجمالا او تفصيلا فهو بحاجة الى تلك السكة التي يسير على خطها في عمله الاستكشافي، وبدونها لا يجني السالك في ميدان المعرفة سوى الضياع والتيه، كما جاء في رواية " أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا يزيده سرعة السير إلا بعدا"[١]. فسالك الطريق الحسي لا يرى لباقي مناهج المعرفة والنتائج المتحصلة منها أي قيمة تذكر، من هنا يقول بعضهم: لا يمكنني ان اعترف بوجود الروح الإنساني مالم اراه تحت مبضعي.[٢]

بينما يرى المتكلم ان المعرفة يجب ان تؤخذ من لسان الشريعة، اما الفيلسوف فيرى ان المعرفة يجب ان تنبع من جوهر العقل، بينما العارف يرى لزوم اشراق تلك المعرفة من شمس القلب. من هنا يقول الشهيد مطهري في وصف هذا المعنى: "العرفاء بحكم ايمانهم بقوة العشق الفطري يسعون الى تعزيز هذه القوة، ويعتقدون ان الاحساسات الإلهية القلبية المتعالية يجب تعزيزها، ورفع موانع رشدها واتساعها، وعلى حد تعبيرهم ينبغي تصفية القلب، والتحليق على جناح الطائر المقتدر والنفاذ (العشق) صوب الله. اما الفلاسفة والمتكلمون فهم يسعون الى اكتشاف الدليل على مقصودهم ومطلوبهم عن طريق العقل والفكر والاستدلال. فالعارف يريد ان يطير ويصل، اما الفيلسوف فيريد ان يضع يده في جعبة فكره ويعثر على المطلوب في فكره. العارف يريد ان يرى اما الفيلسوف فيريد ان يعرف."[٣]، ولقد شكل هذا التأزم المنهجي عند بعضهم معضلة امام التقدم المعرفي، لذا رسم لنفسه خطا عابرا للمناهج أسماه بـ (العبرمناهجية) رافضا الانطواء والتقوقع تحت أي من المناهج المحددة والمعهودة[٤].

اذاً فالمناهج متنوعة في نفسها والموضوعات كذلك، وهكذا الامر بالنسبة لدراسة القرآن الكريم، فقد تناولته مناهج متعددة في دراسة نصوصه وموضوعاته ومقاصده، كما تنوعت نتائج

التحامها مع القران الكريم في محاولة اكتشاف مكنونه والتعرف على شخصيته. فظهر المنهج التجزيئي الترتيبي –او قل اللون –الذي يدرس ايات القرآن ويبين مفاهيمها ابتداء من سورة الحمد المباركة وحتى الناس، وهو اللون الغالب في عملية التفسير، كما ظهر المنهج الموضوعي الذي يحاول جمع آيات القران المرتبطة بموضوع واحد، ومن ثَمَّ الخروج بنتيجة تعطي موقف القران الكريم من ذلك الموضوع.

كما ظهر المنهج البنائي الذي يتعامل مع كل سورة من سور القران الكريم على انها وحدة واحدة وبناء واحد، بحيث يكون لكل آية داخل هذا البناء موقعها ومعناها الخاص الذي يمكن تحديده من خلال البناء العام للسورة.

كما ظهر منهج التفسير العلمي الذي يفسر نصوص القران الكريم وآياته على وفق المكتشفات والنظريات والتجريبيات العلمية الطبيعية الحديثة. ويحاول جر النصوص القرآنية الى ساحة العلم التجريبي كما فعل السيد طنطاوي. وقد انتقد العلامة الطباطبائي هذا المنهج التفسيري بشدة معتبرا إياه خارجا عن دائرة التفسير، وانما هو نوع من التطبيق او التحميل على مضامين النصوص الدينية بل يعتبر العلامة الطباطبائي اغلب التفاسير.

من هنا اتجه العلامة الطباطبائي الى احياء منهج تفسير القران بالقران باللون التجزيئي، من خلال كتابه القيّم (الميزان في تفسير القران)، والذي انطلق فيه من مقولة :(إذا كان القران الكريم يصف نفسه بالمبين والبيان والنور، فكيف يكون محتاجا الى غيره في تبيينه؟)، من هنا أسس العلامة الطباطبائي قوام هذا المنهج وأرسى قواعده وسار عليه على طول خطه التفسيري من الحمد حتى الناس.

بينما التزم جماعة من العصر الأول للتفسير حتى يومنا هذا مسلك ومنهج التفسير الروائي، والذي فيه يتم جمع الروايات المتعلقة بالآية، ثم يقوم المفسر بثبت الاية المراد تفسيرها، ثم يثبت الروايات المفسرة لتلك الاية، ومن المعلوم ان الدور الذي يمارسه المفسر ضمن اطار هذا المنهج هو دور سلبي، يعتمد على النقل والتثبيت من دون ان يبيّن شيء من خلال اجالة فكره او تدبره الخاص بآيات الكتاب العزيز. اما إطلاق صفة المفسر على الجامع للحديث لا يمكن ان يكون الا على نحو التجوّز، وكذلك اطلاق لفظ التفسير على هذا النوع من الكتب هو أيضا من باب المجاز، لان تلك الكتب هي في الواقع كتب حديث وان كانت تتعلق بآيات القران الكريم. لذا كان المنهج الاخباري مظهر من مظاهر هذا المنهج لدى المدرستين.

كما ظهر التفسير العقلي في ركاب التفسير بالمأثور، اذ يقوم منهج التفسير العقلي على استكشاف معنى الايات القرانية عن طريق تحصيل المبادئ التصورية والتصديقية الكامنة في العقل، اما ما يقوم به العقل من التفطن لمعنى الاية من خلال فهم الروايات والايات المتعلقة بها والجمع بينها فهو من باب التفسير بالمأثور لا من باب التفسير العقلي، اذ العقل لم يتخذ دور المصدرية بل اخذ دور المصباحية لا غير، من هنا يقول الشيخ عبد الله جوادي آملي في تسنيمه :" والتفسير العقلي... اما ان يحصل بالتفات العقل الى الشواهد الداخلية والخارجية، بأن يدرك العقل الفطن الوقاد معنى الاية من خلال الجمع بين الايات والروايات، وفي هذا القسم يكون للعقل دور (المصباح) لا اكثر، ومثل هذا التفسير العقلي الاجتهادي يعد جزءا من التفسير بالمأثور وليس تفسيرا عقليا لانه يتحقق من المصادر النقلية، واما ان يحصل باستنباط بعض المبادئ التصورية والتصديقية النابعة من المصدر الذاتي للعقل البرهاني والعلوم المتعارفة، وفي هذا القسم يكون للعقل دور (المصدر) وليس دور المصباح فقط. وعليه فإن التفسير العقلي يختص بالمورد الذي يقوم فيه العقل باستنباط بعض المبادئ التصديقية والمباني المستورة والمطوية لبرهان الموضوع، ثم يحمل عليه الاية التي هي مورد البحث"(٥).

هذا بالإضافة الى مناهج واتجاهات أدبية وفلسفية وفقهية واجتماعية وكلامية، نطوي عنها سجل التعرض والبحث، اذ البحث سينصب على دراسة ثلاث ابداعات منهجية، الأولى: تتعلق بما ابدعه السيد محمد باقر الصدر في ميدان التفسير الموضوعي. والثانية: تتعلق بما ابتكره الأستاذ محمود البستاني على صعيد التفسير البنائي. اما الثالثة: فتستعرض ابداع العلامة الطباطبائي في احياء وتطوير منهج تفسير القران بالقرآن.

مدخل الى التفسير الموضوعي

يعتبر التفسير الموضوعي واحد من مسالك التفسير المهمة، اذ كان ولا يزال موردا لاهتمام المفسيرين، الا انه وقع الاختلاف في اول من فتق باب البحث فيه، فمنهم من ذهب الى القول بأن النبي صلى الله عليه وآله، والائمة من بعده هم اول من فتحوا باب التفسير الموضوعي، من هنا يقول الدكتور غلام علي عزيزي:" وقد قام المفسِّرون الحقيقيون للقرآن الكريم . أي رسول الله وأهل البيت الأطهار . منذ القدم بالنظر إلى القرآن الكريم بشكلٍ موضوعي، وعرّفوا الناس بهذه الطريقة. ويعتبر النظر في الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، من أوائل أشكال التفسير الموضوعي. فلو أننا نظرنا في آية منسوخة . لوحدها . نكون قد توصَّلنا إلى رأي مخالف لما يريده القرآن الكريم. وهكذا الأمر فيما لو نظرنا في آية متشابهة دون النظر إلى الآيات المحكَمات. [...] بل عمد

الأئمة إلى ممارسة المنهج الموضوعي في تفسير القرآن الكريم، وبذلك سلكوا أفضل الطرق لتعليم المضامين القرآنية"[٦].

بينما يرى الشيخ السبحاني ان اول من كتب في التفسير الموضوع هم جماعة من علماء الشيعة عند تفسيرهم لآيات الاحكام، كالشيخ جمال الدين ابن المتوج البحراني (٨٢٠ هـ)، والفاضل المقداد السيوري(٨٢٦ هـ)[٧]، كما اعتبر اول من توسع في التفسير الموضوعي هو العلامة المجلسي، لان العلامة المجلسي في اول كل باب من أبواب بحاره يأتي بالايات المرتبطة بالموضوع ثم يقدم لها تفسيرا مختصرا، من هنا يقول:" ثمّ إنّ أوّل من توسع في التفسير الموضوعي هو شيخنا العلاّمة المجلسي، فقد اتّبع هذا المنهج في جميع أبواب موسوعته النادرة « بحار الأنوار » حيث جمع الآيات المربوطة بكلّ موضوع في أوّل الأبواب وفسرها تفسيراً سريعاً، وهذه الخطوة وإن كانت قصيرة، لكنّها جليلة في عالم التفسير، وقد قام بذلك مع عدم وجود المعاجم القرآنية الرائجة في تلك الأعصار."[٨]

في حين اعتبر بعضهم ان رائد التفسير الموضوعي هو العلامة الطباطبائي، اذ قام بعرض بعض الموضوعات القرانية كموضوع التوحيد والامامة والشفاعة، ثم قدم لها تفسيرا من منظور القران الكريم عن طريق جمع الايات التي تتعلق بهذه المواضيع ثم بلورة رؤية متجانسة عنها من خلال نفس ايات القران الكريم.[٩]

بينما ذهب آخرون الى القول بأن هذا اللون والأسلوب التفسيري وان كان له ظهور سابق الا ان اصطلاحه ظهر في القرن الرابع عشر على يد الشيخ احمد الكومي، فهو اول من كتب في هذا المجال تحت عنوان (التفسير الموضوعي) وقد طبع في السبعينات من القرن الماضي.[١٠]

ويمكن ارجاع هذا الاختلاف في كل اشكال المناهج والعلوم الى ان لكل منهج وعلم له ولادات متعددة، تختلف شدة ومراحل نضوجها، فالمنهج والعلوم لا تظهر دفعة واحدة للوجود، وانما هي نتيجة لمجموعة من التراكمات العلمية والجهود المتعاقبة على موضوع واحد، فعلم الفقه لم يظهر دفعة واحدة وكذلك علم الأصول، والفلسفة ونظرية المعرفة وغيرها... وهكذا الحال بالنسبة للتفسير الموضوعي.

كما اختلفوا في كون التفسير الموضوعي منهجا كبقية المناهج التفسيرية أو علما متوفرا على الشروط التي يصبح بها الموضوع علما من العلوم، كالحد او الرسم، ووجود الموضوع والمبادئ والمسائل التي تدور حول ذلك الموضوع، والغاية والثمرة، والرتبة والواضع؟، قال :"رأينا اختلاف الدراسات المعاصرة في تحديد حقيقة التفسير الموضوعي؛ اذ يرجح اكثرهم منهجية هذا اللون من

التفسير، شأنه في ذلك كشأن باقي مناهج التفسير، التحليلي، والمقارن، والاجمالي، بينما رأى البعض الاخر انه علم ومنهج معا؛ اذ تظهر فيه حدود العلم من مسائل، ومنهج، وواضع، وثمرات وغيرها، كما قرر هؤلاء– كالخالدي وغيره– ان اشتراك التفسير الموضوعي مع باقي المناهج التفسيرية للنص القرآني، لا يمنع استقلاليته العلمية"(١١)

كذلك اختلفوا في تعريفه وحده، فقال بعضهم:" هو بيان الآيات القرآنية ذات الموضوع الواحد، وان اختلفت عباراتها وتعددت اماكنها، مع الكشف عن أطراف ذلك الموضوع، حتى يستوعب المفسر جميع نواحيه ويلم بكل اطرافه"(١٢).

كذلك عرفه عبد الحي الفرماوي بأنه" اصطلاح مستحدث، اطلقه العلماء المعاصرون على جمع الآيات القرآنية، ذات الهدف الواحد – التي اشتركت في موضوع ما – وترتيبها حسب النزول – ما امكن ذلك – مع الوقوف على أسباب نزولها ثم تناولها بالشرح والبيان، والتعليق والاستنباط، وافرادها بالدرس المنهجي الموضوعي الذي يجليها من جميع نواحيها، وجهاتها، ووزنها بميزان العلم الصحيح الذي يبين الباحث معه الموضوع على حقيقته، ويجعله يترك هدفه بسهولة ويسر ويحيط به احاطة تمكنه من فهم ابعاده، والذود عن حياضة"(١٣).

وكذا عرفه عبد الستار عبد الله سعيد بقوله:" هو علم يبحث في قضايا القران الكريم، المتحدة معنى او غاية، عن طريق جمع اياتها المتفرقة، والنظر فيها على هيئة موضوعية، بشروط مخصوصة لبيان معناها واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع"(١٤)

كما عرّف الشيخ محمد الغزالي التفسير الموضوعي بأن :" هو تتبع المعنى الواحد في طول القران، وحشده في سياق قريب، ومعالجة كثير من القضايا على هذا الأساس"(١٥).

بينما عرفه الشيخ جعفر السبحاني بقوله:" وهو تفسير القرآن الكريم حسب الموضوعات الواردة فيه بمعنى جمع الآيات الواردة في سور مختلفة حول موضوع واحد، ثمّ تفسيرها جميعاً والخروج بنتيجة واحدة، وقد أُطلق على هذا اللون من التفسير بالتفسير الموضوعي"(١٦)

كذلك قال الدكتور احمد رحماني في تعريفه: " هو منهج ينهض بتفسير الايات المتظافرة على ابراز خصائص موضوع محدد في القرآن كله او في سورة منه، مركزا ومعبرا عن قضية محددة تتبلور عنها نظرية في قضية من قضايا الحياة، او تصور عن امر من أمور الكون والملكوت"(١٧).

كما ذكر الشيخ جوادي آملي في سياق تفريقه بين التفسير الموضوعي والترتيبي، هو ان التفسير الترتيبي يكون مقدمة للتفسير الموضوعي لذا فالمفسر " بعد التعرف على مضمون الايات

يأتي الى التفسير الموضوعي برأسمال التفسير الترتيبي، فيختار موضوعا من المواضيع ويبحث حوله، أي يقوم بجمع ايات من القران تحوي هذا الموضوع ويرتبها،ثم يقوم بجمع وترتيب الروايات الواردة في هذا المجال، وفي المرحلة النهائية يقوم بترتيب ثالث لما تحصل لديه من الايات والروايات، حتى يستطيع تقديم ذلك بوصفه رأي الإسلام والقران والعترة"[١٨]

وهكذا تعاريف أخرى كثيرة ذكرت في تحديد هوية وتعريف التفسير الموضوعي، والملاحظ من جميع التعاريف المتقدمة انها تشترك بضرورة جمع ايات تتعلق بالموضوع المبحوث عنه، كما يسبق عملية الجمع تلك، تحديد الموضوع الذي تدور الايات حول معالجته، كما يشتركون جميعا بتصور مفاده : توفر القران الكريم على وحدة موضوعية تعطي للباحث حرية اقتباس الاية من مكانها الذي وجدت فيه في أي ركن من اركان القران الكريم وضمها الى بقية الايات من اجل معرفة مقصود القران من ذلك الموضوع، اذ ان وجود الاية في موقع منفصل عن الايات المتعلقة بالموضوع – لا يجعلها منفصلة في تحديد موقف القران من ذلك الموضوع المحدد.

منهج التفسير الموضوعي عند السيد الصدر

ان السيد الشهيد الصدر يرى في القران الكريم –الذي يمثل آخر رسالة بين السماء والأرض – كتابا شاملا يعالج جميع وقائع الحياة ويستوعبها، كما انه لايرى في القران الكريم ذلك الكتاب المنفصل عن الحياة، بل على الرغم من تعاليه فهو يوجه مسير الانسان ويحل مشاكله ويشاكله همومه وطموحاته دون ان ينفصل عنه في لحظة من اللحظات، وهذه الجدلية القائمة بين الواقع والنص كانت تشكل محورا اصيلا في فكر الشهيد الصدر وليس امرا مستحدثا منبعثا من التأثر بما قدمه الاخرون في هذا المجال، فيجد المتتبع لفكر الشهيد الصدر وتراثه انه كان يحمل هم الامة التي تمثل الواقع ومحاولة سحبها نحو تطبيق رسالة السماء، كذلك في كل مشاريعه الفكرية يجد الباحث ان نقطة انطلاق تلك المشاريع تنبثق من الواقع الموضوعي ليتم معالجتها ضمن اطار رؤية الإسلام لتلك المسائل، ثم بعد ذلك تصاغ نظرية كاملة لها مبادئها وأهدافها وصيغتها الإسلامية والموضوعية، لتعالج مشكلة من مشاكل الحياة، او تقدم تفسيرا لظواهر الواقع الموضوعي.

فلم يأتي كتاب فلسفتنا لأجل التفلسف وانما كان مشروعا لمعالجة مشكلة واقعية تواجه الفكر البشري، الا وهي مشكلة المعرفة وتحديد الموقف الإسلامي منها، وما تترتب عليها من مشاكل أخرى تنبثق منها، اذ المعرفة تمثل قاعدة واساسا لعلم الكلام والاعتقاد، يقيم الاعتقاد عليها اصوله ومسائله ابتداء من التوحيد وحتى المعاد.

كما لم يكن كتاب (البنك اللاربوي في الإسلام) يمثل ترفا فكريا للمؤلف، وانما قام على أساس مشكلة واقعية تواجهها البنوك من الناحية الشرعية، فكتب احد المستثمرين الكويتيين للسيد الشهيد الصدر رسالة يطلب فيه ان يبين له كيفية تأسيس نظام مصرفي قائم على أساس القوانين الإسلامية وخالي من أي معاملة ربوية. فخرج جواب هذه الرسالة على شكل كتاب يبين فيه تفاصيل النظام المصرفي الإسلامي.

اما كتاب اقتصادنا فكان تعبيرا عن موقف الإسلام الاقتصادي امام نظامين متعسفين في الجانب الاقتصادي، وكما هو معلوم ان الاقتصاد يمثل أوضح تجليات الواقع، اذ يعكس بظلاله على جميع نواحي حياة المجتمع، لذا كتب الشهيد الصدر مؤلفه في ثلاثة فصول، مثل الفصل الأول عرض ونقد لمبادئ واسس المذهب الاقتصادي الماركسي. اما الفصل الثاني فكان يمثل دراسة للمذهب الاقتصادي الرأسمالي وعرض مبادئه ثم نقده. بينما الفصل الثالث فعرض فيه لمبادئ الاقتصاد الإسلامي عرضا مفصلا مبينا فيه أنظمة الإنتاج والتوزيع في الإسلام.

كذلك جاء كتاب (الأسس المنطقية للاستقراء) منبعثا من الواقع الذي عم فيه الالحاد، فجاءت هذه الدراسة لمعالجة موضوع واقعي فيما يخص المعرفة الإنسانية، واثبات مؤدى الاستقراء الناقص لليقين بالمعنى العام، الذي يهمل الذهن معه تلك النسبة الضئيلة المتبقية ولا يقيم لها حساب ولا وزن، وبالتالي اثبت من خلال هذا الكتاب وجود الله تعالى بطريقة علمية اعادت الإسلام الى قوته، وكان يمثل صعقة اعادت كثيرا من أبناء الامة ممن جرفته التيارات الالحادية ولا يزال يؤدي هذا الدور الواقعي الى وقت كتابة هذه السطور. كما سد ثغرة تعاني منها كلا المدرستين الفلسفيتين (الإسلامية والغربية)، عمرها يرجع الى الفي عام، لم يستطع احد ان يسدها، الا وهي ثغرة تعميم نتائج الاستقراء الناقص.

فكل تراث هذا الرجل العظيم، وخلفياته الفكرية تنطلق من الواقع، مما يحدو به لتفسير القرآن تفسيرا موضوعيا، بمعناه الذي ينطلق فيه من الفكر الأرضي البشري وتجارب الانسان ومن ثم عرضها على المتعالي الإلهي ومعالجة مشكلات الواقع الموضوعي عن طريق استخلاص المركب النظري او النظرية عبر الحوار الذي يقيمه مع القران الكريم.

من هنا يعرف الشهيد الصدر التفسير الموضوعي بأنه: أسلوب تفسيري يتلخص بطرح موضوع من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية وحمل نتائج التجربة البشرية في دراسته، ومن ثم عرضها على القران الكريم من خلال جمع الايات المرتبطة بالموضوع محل الدرس، للخروج بنظرية قرآنية بصدده.[١٩]

وعلى هذا الاساس يعبر الشهيد الصدر عن هذا اللون من التفسير بالتفسير التوحيدي،لكونه يوحد بين الايات المشتركة في الموضوع، "ويوحد بين مدلولات هذه الايات ضمن مركب نظري واحد"[٢٠] هذا من جهة، ولأنه يقوم على الاستفادة من التجربة البشرية ونتائجها، ومن ثم القيام بتوحيدها مع رؤية القرآن للخروج بموقف نظري تجاه الموضوع محل البحث والدرس من جهة اخرى، ومنه يُعلم ان التفسيري الموضوعي لا يقصي التجربة البشرية ولا الواقع الموضوعي لينكفئ على النص في دائرة مغلقة يدور فيها المفسر والظهورات اللفظية، وانما للتجربة البشرية حظ ووجود يمثل مرحلة هامة من مراحل التفسير الموضوعي، اذ المفسر بالتفسير الموضوعي لا يأتي القران الكريم وهو خالي الذهن من كل فكرة وعلم فعلي او مسبق، وانما يجلس بين يدي القران وهو يحمل كل النتائج التي توصل اليها العقل البشري، ليعرض تلك النتائج والاؤاء ويقدمها بين يديه، في حوار بين سائل ومجيب، ليستعلم وزنها، فيستنطق القرآن الكريم ليتعرف على رأيه وعلاجه للاشكالية الموضوعية، ثم ليصوغ من أجوبة القران الموقف النظري النهائي الذي يمثل رأي الإسلام.

ثم تنبه السيد الشهيد الى اعتراض مهم قد يواجه هذا اللون من التفسير، وهو ان حمل التجارب البشرية على القران، ألا يستلزم تطبيقا وتحميلا للافكار المسبقة على القرآن الكريم، او لي لعنق النص ليوافق الفرضيات السابقة على البحث القرآني؟ كما استشكل السيد الطباطبائي بهذه الإشكالية على اغلب التفاسير التي هي من قبيل التطبيق والتحميل للافكار المسبقة على النص من خارجه.[٢١]

وقد أجاب الشهيد الصدر عن هذا الاشكال الموجه لاسلوبه في التفسير الموضوعي :" اما مصطلح التوحيدية فباعتبار أنه يوحّد بين التجربة البشرية وبين القرآن الكريم لا بمعنى أنه يحمل التجربة البشرية على القرآن، وليس بمعنى أنه يُخضع القرآن للتجربة البشرية، بل بمعنى أنه يوحّد بينهما في سياق بحث واحد، لكي يستخرج نتيجة هذا السياق الموحّد من البحث، أي انه يستخرج المفهوم القرآني الذي يمكن أن يحدد موقف الإسلام تجاه هذه التجربة أو المقولة الفكرية التي أدخلها في سياق بحثه"[٢٢]

من هذا المنطلق يرى الشهيد الصدر ان دور المفسر الموضوعي يمتاز بالنشاط والحركة الصعودية من الواقع الى النص، فهو دور إيجابي. بينما يكون دور المفسر التجزيئي سلبيا؛ لكونه يدور في دائرة النص. من جهة أخرى يسعى المفسر التجزيئي الى بيان النص واستعراض مقاصده، على خلاف التفسير الموضوعي فإنه يطمح الى توحيد مدلول الايات المتناثرة في الموضوع الواحد،

واكتشاف المركب النظري الذي من خلاله يعالج مشكلة من مشاكل الحياة، او قل اكتشاف النظرية القرآنية فيما يتعلق بذلك الموضوع.

كما اكد الشهيد الصدر بأن التفسير الموضوعي يجب ان ينطلق من خارج النص نحو النص، ليعود مرة أخرى الى الواقع بنظرية او موقف نظري تركيبي،على خلاف التفسير الترتيبي الذي ينطلق من النص الى النص ليبقى يدور في دائرة الظهور اللفظي. لذا يقول السيد محمد باقر الحكيم في هذا السياق:" أن التفسير الموضوعي يرجح على التفسير التجزيئي لأنه يمثل حالة من التفاعل مع الواقع الخارجي، إذ أن المفسر يبدأ من خلاله بالواقع الخارجي ثم ينتقل إلى القرآن الكريم ثم يعود إلى الواقع الخارجي مرة أخرى بنتاج بحثه داخل القرآن، مما يجعل القرآن الكريم ملبيا وبشكل مستمر لكل متطلبات الحالة الإنسانية والاجتماعية التي تفرضها حركة التأريخ والحركة التكاملية لهذا الإنسان."[٢٣]

من هنا كان الشهيد الصدر يرى ان الموضوعية المأخوذة في التفسير الموضوعي ليست الموضوعية في قبال الذاتية والتحيز ، وانما هي الواقع الموضوعي أو قل: الواقع الخارجي، لذا يقول في سياق تفريقه بين التفسيرر التجزيئي والتفسير التوحيدي الموضوعي ان :" المفسر التوحيدي والموضوعي؛ فانه لا يبدأ عمله من النص، بل من واقع الحياة، يركز نظره على موضوع من موضوعات الحياة العقائدية، او الاجتماعية، او الكونية، ويستوعب ما اثارته تجارب الفكر الإنساني حول ذلك الموضوع من مشاكل، وما قدمه الفكر الإنساني من حلول، وما طرحه التطبيق التاريخي من أسئلة ومن نقاط فراغ..."[٢٤]

كما يرى الشهيد الصدر ان التفسير الموضوعي لا يمكن ان يكون منعزلا عن الحياة او منفصلا عن الواقع بل هو في حالة التحام دائم بين الواقع والنص القرآني، علا خلاف التفسير التجزيئي، من هنا يقول في هذا السياق:" اذاً، فهنا يلتحم القران مع الواقع، يلتحم القران مع الحياة. التفسير يبدأ من الواقع وينتهي الى القران، لا انه يبدأ من القران وينتهي بالقران، فتكون عملية منعزلة عن الواقع منفصلة عن تراث التجربة البشرية، بل هذه العملية عملية تبدأ من الواقع وتنتهي بالقران القيم بوصفه المصدر الذي يحدد على ضوئه الاتجاهات الربانية بالنسبة الى ذلك الواقع"[٢٥]

كذلك يعتقد الشهيد الصدر ان التفسير الموضوعي يعطي نتائج اكثر عمقا من التفسير التجزيئي، لذا يقرر السيد الحكيم هذه الحقيقة بقوله:" وقد نفهم من حديث السيد الشهيد رضى الله عنه السابق أنه يضيف إلى جملة مرجحات المنهج الموضوعي في التفسير على المنهج التجزيئي أمرا آخر وهو أن التفسير التجزيئي يمثل حالة من السطحية النسبية في التفسير قياسا إلى العمق

الموجود في المنهج الآخر، وهذه الحالة هي حالة التفسير اللغوي واللفظي، بخلاف التفسير الموضوعي الذي يمثل الحالة العميقة في البحوث التفسيرية، وبذلك يمثل التفسير الموضوعي الخطوة التكاملية لمسيرة التفسير من هذه الناحية أيضاً، بالإضافة إلى تلك الخطوة التكاملية التي خطاها في محاولته لاستحصال أوجه الارتباط بين المدلولات التفصيلية للآيات من أجل الوصول إلى النظرية القرآنية."[٢٦] ثم يستشكل على هذا المرجح بين التفسيرين، مؤكدا ان التفسير التجزيئي والتفسير الموضوعي يمكن ان يتصف كلاهما بالعمق، فكما يمكن ان يكون التفسير الموضوعي عميقا، فكذلك يمكن ان يكون التفسير الترتيبي عميقا أيضا.[٢٧]

وقد رد الشيخ صادق المبارك اعتراض السيد الحكيم بقوله:" وقد يلاحظ على هذا الكلام بأن التفسير التجزيئي إن كان يهدف فقط لتفسير آية أية دون التوصل إلى النظرية القرآنية، ودون الاستعانة بالتجربة البشرية فلا شك بأن هذا التفسير سيكون تفسيرا لفظيا لا محالة، وان كان يهدف إلى التوصل إلى نظرية قرآنية بالاستعانة بالتجربة البشرية فهو عينه التفسير الموضوعي. وأما الوصول إلى المصاديق الخارجية من خلال تفسير الآيات المتناثرة من دون التوصل إلى جامع ومركب نظري يجمع هذا الشتات متعذر لما ذكره السيد الشهيد من أن المفسر في هذا العصر لا يعيش الارتكاز الذي كان يعيشه المسلمون عصر صدور النص والذي يمكنه من فهم النص وتطبيقاته."[٢٨]

كما يرى السيد الشهيد الصدر ان واحدا من مرجحات التفسير الموضوعي على التفسير التجزيئي، هو ان التفسير الترتيبي ساهم في إيجاد الصراعات المذهبية من خلال جر الايات القرانية الى الرأي الذي يعتقده المفسر، فكان يكفيه ان يقوم بتفسير الاية على وفق مذهبه، وهكذا تعمل الأطراف الأخرى، اما التفسير الموضوعي فإنه يتجاوز هذه المشكلة عن طريق تحشيد الايات وتوحيدها ومن ثم انتزاع النظرية القرآنية في خصوص الموضوع من جميع الايات، لا ان يتخذ الموقف من تأويل اية واحدة بحسب ماتشتهيه نفس المفسر ومذهبه العقدي.[٢٩]

اما السيد الحكيم فقد اعترض على هذا المرجح بين التفسير الترتيبي والموضوعي، بأن التفسير الترتيبي كما يكون مصدرا للتناقضات والصراعات المذهبية، فيمكن ان يكون التفسير الموضوعي كذلك، فلا يمكن ان يكون ما ذكره الشهيد الصدر مرجحا بين المسلكين. لذا يقول:" وأما المرجح الثالث: فلا يمكن اعتبار هذا المرجح مرجحا للمنهج الموضوعي على التجزيئي، وذلك لأنه كما يمكننا أن نفترض وجود الاختلافات والتناقضات على أساس المنهج التجزيئي يمكننا أن نفترض ذلك على أساس المنهج الموضوعي أيضاً، وكما هو قائم وموجود فعلا، إذ أن هناك الكثير

من الباحثين والمفسرين في العصور المتأخرة اعتمدوا المنهج الموضوعي ومع ذلك توصلوا إلى نتائج مختلفة ومتناقضة."[٣٠]

وقد رد السيد محمد علي ايازي اعتراض السيد الحكيم بقوله: يمكن ان يرتفع اشكال السيد الحكيم عند الاطلاع على كلمات الشهيد الصدر في هذا المجال، فعلى الرغم من ضرورة التوقف عند التناقضات المذهبية الناتجة من كلا الاسلوبين، الا ان حضور هذه التناقضات والنزعات المذهبية يكون اقوى وآكد واشد حضورا في ميدان التفسير الترتيبي؛ لأن التفسير الترتيبي احادي النظرة، اذ ينطلق برؤيته من خلال دراسة الايات منفصلة عن بعضها البعض، مما يولد حالة من سوء الفهم، بخلاف التفسير الترتيبي فإن حالة سوء الفهم تتضائل بشكل كبير في أسلوب التفسير الموضوعي؛ لأن التفسير الموضوعي يحاول إعطاء نظرية شاملة فيما يخص الموضوع، لذا فهو بالتالي مضطر لدراسة تفاصيل المسألة من كل الجوانب وجمع شتاتها من كل القرآن، فتكون رؤيته واضحة، واحتمالية سوء الفهم اقل. لذا فإن الاشكال الذي أورده السيد الحكيم غير وارد، وانما يرجع الى عدم التفات السيد الحكيم الى اصل نظرية السيد الشهيد الصدر.[٣١]

كما اشكل السيد الحكيم على كون الانطلاق من الواقع بإتجاه النص، لا يمكن ان يكون مرجحا للتفسير الموضوعي على التفسير الترتيبي، وذلك لأن كثير من التفاسير الترتيبية تنطلق من الواقع لتعالج مشكلات الحياة من خلال النص، فلا يمكن ان يكون الانطلاق من الواقع ومعالجة مشكلات الحياة من الخصائص المرتبطة بالتفسير الموضوعي دون الترتيبي، بل على العكس فإنها ميزة مشتركة بين الاسلوبين في التفسير.[٣٢]

وقد أجاب عن هذا الاشكال الشيخ صادق سليمان المبارك بثلاثة أجوبة:

الجواب الأول: ليس هناك تباين تام بين التفسير الترتيبي والتفسير التجزيئي كما صرح بذلك الشهيد الصدر نفسه اذ قال:" وينبغي أن يكون واضحاً أن الفصل بين الاتجاهين المذكورين ليس حدياً على مستوى الواقع العملي والممارسة التاريخية لعملية التفسير... ولكن الاتجاهين على أي حال يظلاّن على الرغم من ذلك مختلفين في ملامحهما وأهدافهما وحصيلتهما الفكرية"[٣٣]، وعلى هذا الأساس فإذا كان المفسر التجزيئي ينطلق في بعض الأحيان من الواقع نحو النص ليحل مشكلات الحياة، فإن عنوان التفسير الموضوعي يصدق عليه في تلك الحال.

الجواب الثاني: ان الانطلاق من خارج القران الكريم الذي صوره السيد الحكيم يختلف عن مراد الشهيد الصدر، فليس كل توجه من الخارج نحو النص يمكن ان يطلق عليه تفسيرا موضوعيا، وليس كل من يحمل سؤالا او مجموعة من التساؤلات ويأتي بها القران الكريم يمكن ان يصدق

عليه عنوان التفسير الموضوعي، اذ هذا اللون من التفسير لا يعدو كونه تجزيئيا، ودور المفسر فيه لا يخرج عن الدائرة السلبية. وانما مراد الشهيد الصدر من الانطلاق من خارج النص بمعنى ان يتشبع المفسر بالنظريات والاراء التي يطرحها المفسر في خصوص ذلك الموضوع ليعرضها بعد ذلك على القران الكريم، فالمفسر يأتي القرآن وهو محمّل بكل توصل اليه العقل البشري في معالجة الموضوع الخارجي. اما الأول فيأتي وذهنه خالي من كل شيء سوى التساؤل الذي يريد طرحه على القران الكريم.

الجواب الثالث: ان ما طرحه السيد الحكيم بخصوص تحقق التفسير الموضوعي على يد اعلام التفسير التجزيئي كصاحب تفسير المنار والميزان – امر لا يقول به أصحاب التفسير انفسهم كما يرى ذلك العلامة الطباطبائي.[٣٤] الا ان هذا الجواب الأخير لايرقى لمستوى الجوابين المتقدمين، وان كان الأول هو اركز الأجوبة المطروحة، اما بخصوص الجواب الثالث فإن الشهيد الصدر لا يقصد من حمل ماتوصل اليه العقل البشري من نظريات وما تراكم من عطاءات التجربة البشرية وحمل ذلك وطرحه بين يدي القران الكريم – فإن السيد الشهيد لا يقصد من ذلك الحمل والطرح بين يدي القرآن – التحميل، الذي كان موردا لرفض العلامة الطباطبائي، وانما كان مقصود الشهيد الصدر هو حمل تلك الآراء وتقديمها بين يدي القرآن الكريم بإعتباره الميزان والمعيار الذي تكتشف من خلاله قيمة تلك الآراء واهميتها، او يقوم القران برفضها وتقديم رؤية مغايرة لها.

معالم الابداع في التفسير الموضوعي عند الشهيد الصدر

لم يكن التفسير الموضوعي– بمفهومه العام –من ابتكارات الشهيد الصدر، بل هناك دراسات وتجارب في التفسير الموضوعي سبقت خوض الشهيد الصدر في هذا الميدان، الا ان الشهيد الصدر اذا ما دخل ميدانا فكريا لا بد وان تكون له بصمات ابداع وابتكار وتجديد ضمن ذلك الاطار، وقد عبر الشيخ أحمد مبلغي عن هذه الميزة في شخصية الشهيد الصدر بقوله: إحدى صفاته هي عبقريته. ظهرت هذه العبقرية في أفكاره؛ حيث إن تفكيره فوق الرؤى المتكررة وأشكال الرؤية المغلقة، كان يتجه نحو جديد الأفكار الموجودة وخلق الأفكار الجديدة.[٣٥] كما يصف الشيخ مبلغي حالة التجديد عند الشهيد الصدر في الميادين العلمية المختلفة، اذ يقول ان الشهيد الصدر:" كان يعيش ويفكر في عالم جديد وكان كل ما يقدمه يعطي رائحة عصرية، أعطى كلمة جديدة في هيكل وبنية الفقه، وأعطى نهجاً جديداً في عرض العلوم الاسلامية واعطى أساليب جديدة في مناقشة الأصول، وأعطى تقريراً جديداً عن الاستقراء والمنطق. وكانت له نظرة إبداعية حول تعريف

وتطبيق الواقعة والنازلة في قضايا اليوم، وكان يركز تركيزاً ذكياً ودقيقاً وبناءً على وقائع الحياة، ويقول: "وقائع الحياة تتجدد وتتغير"[٣٦]، كما يرى الشيخ مبلغي ان الشهيد الصدر يمتلك ما يسميه بـ(الانسجام الذهني) بمعنى انه اذا صدرت منه فكرة، فإن ذلك لا يدل على انها فكرة واحدة، وانما تنبثق من مجموعة من الأفكارالكامنة وراءها والمتعلقة بها على نحو اللازم والملزوم.[٣٧]

من هنا وبعد هذه المقدمة يجب ان يتجه البحث الى ابراز مكامن ومعالم الابداع عند الشهيد الصدر في خصوص التفسير الموضوعي، وما هو الجديد الذي اتى به في هذا الخصوص على الرغم من كون التفسير الموضوعي –كما مر– ليس من ابداعاته، وانما هو مبدع فيه. وعلى هذا الأساس يمكن اجمال موارد الابداع لما قدمه الشهيد الصدر في التفسير بالموارد التالية:

أولا: الابداع على مستوى الاصطلاح:

ان القارئ لأول وهلة يجد ان اصطلاح التفسير الموضوعي ليس من انشاءات الشهيد الصدر، بل هو سابق لخوض الشهيد الصدر في هذا المجال، الا ان هذا التصور غير صحيح في الجملة، نعم مصطلح التفسير الموضوعي سابق لخوض الشهيد الصدر في هذا المجال، وهذا هو الجزء الصحيح من القضية. لكن مصطلح التفسير الموضوعي مختلف تمام الاختلاف عما يرمي اليه نظر الشهيد الصدر، فهو بمثابة المشترك اللفظي بين مرام الصدر وما يرومه باقي المفسرين.

من هنا فإن ما يقصده المشهور من مفردة (الموضوع) في مركب (التفسير الموضوعي) هو تلك المسألة المطروحة على القرآن الكريم، اما الشهيد الصدر فيقصد من الموضوع الواقع الخارجي او الموضوعي الذي ينطلق منه المفسر ليجمع ماتوصل اليه الجهد البشري في الموضوع المبحوث ليعود محملا بالتجربة البشرية من آراء ونظريات وتساؤلات، فيعرضها على القرآن الكريم، من اجل الخروج بنظرية قرآنية في خصوص ذلك الموضوع.

ثانيا: الابداع في تحديد نقطة انطلاق التفسير الموضوعي

ان التفسير التجزيئي كما عبر الشهيد الصدر يبدأ من النص ويعود الى النص ذاته، في دائرة مغلقة يحدد من خلالها مدلولات الالفاظ ومعانيها ومقاصدها، كذلك التفسير الموضوعي لدى المشهور فإنه يمارس نفس العملية سوى فرق وحيد، يبرز في كون التفسير الترتيبي لا يدرس الآيات ضمن منظومة واحدة في تحديد المعنى القرآني، بينما التفسير الموضوعي عند غير الشهيد الصدر، فإنه قائم على جمع الآيات وترتيبها ترتيبا منطقيا، ومن ثم بيان معناها واستخراج رؤية القران الكريم

في ما يخص ذلك الموضوع، اذ الموضوع المأخوذ قيدا في التفسير يعني عندهم تلك المسألة المراد بحثها في القران الكريم.

اما نقطة انطلاق التفسير الموضوعي لدى الشهيد الصدر فإنها تبدأ من الواقع الموضوعي، أي من خارج القران الكريم، ليكون المفسر الموضوعي متشبعا بالنظريات والأفكار المسبقة والاسئلة الملحة، محملا بمفاد التجربة البشرية، هاضما لها، ثم يأتي بهذا الحمل ويطرحه بين يدي القران في حوار قائم على السؤال والجواب، ليستخلص بعد ذلك وجهة نظر القران الكريم في خصوص ذلك الموضوع.

ثالثا: الابداع على مستوى المقارنة والتحليل

ان ما طرحه الشهيد الصدر من تحليل ومقارنة بين الأسلوب التفسير الموضوعي والتفسير الترتيبي ليس له سابقة على مستوى تاريخ علم التفسير، اذ التفصيل الذي قدمه الشهيد الصدر في رسم دور المفسر الترتيبي والدور الذي يلعبه المفسر الموضوعي من الإيجابية والسلبية، فقال في هذا السياق:" ان المفسر التجزيئي دوره في التفسير على الاغلب سلبي فهو يبدأ أولا بتناول النص القرآني المحدد آية مثلا او مقطعا قرآنيا دون أي افتراضات او طروحات مسبقة ويحاول ان يحدد المدلول القراني على ضوء ما يسعفه به اللفظ... وكأن دور النص فيها دور المتحدث ودور المفسر هو الاصغاء والتفهم وهذا ما نسميه بالدور السلبي..."[٣٨] اما دور المفسر الموضوعي فهو دور إيجابي.

كذلك فيما يخص المرجحات التي يذكرها الشهيد الصدر بين الاسلوبين (الموضوعي والتجزيئي) من ارتباط نتائج التفسير الموضوعي بالتجربة البشرية، مما يجعله غير منعزل ولا من فصل عن الحياة، على خلاف التفسير الترتيبي الذي يدور في فلك النص وحده. بالإضافة الى كون عملية التفسير الموضوعي تشكل استنطاقا وحوارا مع القران الكريم، كذلك اعتبار النتائج التي يقدمها التفسير الموضوعي أعمق وادق من نتائج التفسير التجزيئي، بالإضافة الى وصف التفسير الموضوعي بأنه يؤسس لنظرية قرانية تجاه الموضوع المطروح والمشكلة الخارجية، على خلاف التفسير الترتيبي، كما ارجع الشهيد الصدر النزاعات والتناقضات المذهبية للدور الذي يؤديه التفسير الترتيبي على خلاف التفسير الموضوعي الذي تتقلص فيه هذه الصراعات والانتصارات للنزعة المذهبية.

ثم بين الخطوة التي يتقدم بها التفسير الموضوعي على التفسير الترتيبي، فإذا كان طموح التفسير الترتيبي يتوقف عند اظهار المدلولات اللفظية التفصيلية لآيات القران الكريم، فإن التفسير

الموضوعي يتجاوز ذلك الطموح الى ربط تلك المداليل وجمعها بجامع واحد، كما يحاول إيجاد العلاقة والاتحاد فيما بينها، يحاول الوصول الى ابراز النظرية او المركب النظري الذي يمثل موقف القران من ذلك الموضوع.

كذلك عد التفسير الموضوعي تفسير متطور باستمرار بإعتبار ارتباطه واستمداده من التجربة البشرية المتطورة، فهي تمثل المادة التي تمد البحث في الميدان الموضوعي وتغنيه وتطوره. على خلاف التفسير الموضوعي الذي لا يمتد الا بمقدار ابراز المداليل التفصيلية للآيات.

كما اكد ان التفسير التجزيئي أحادي، اما التفسير الموضوعي فهو تركيبي، بمعنى ان التفسير الترتيبي اذا أراد ان يستخرج موقفا قرانيا فإن كل ماعليه التوجه الى استكناه ذلك الموقف من مدلولات الالفاظ ومن ثم يعبر عن فهمه لتلك المدلولات ليخرج بعد ذلك بموقف قرآني، اما التفسير الموضوعي فهو تفسير ثنائي تركيبي، يطوي في مرحلته الأولى التعرف على مدلولات الالفاظ ثم يتقدم خطوة أخرى عبر توحيد تلك المداليل وربطها معا من خلال شبكة من الايات التي تتحدث عن ذات الموضوع، وعلى هذا الاساء فالتفسير الموضوعي يتكئ على التفسير الترتيبي ويتجاوزه لما هو ابعد من ابراز المدلولات التفصيلية.

كما ان التفسير الترتيبي احادي المرحلة يبدأ من النص بشكل مباشر، بينما التفسير الموضوعي ثنائي المرحلة، يبدأ من التجربة البشرية والموضوعات الخارجية والتساؤلات الواقعية التي تنشأ من فضول الانسان وحاجته، ليتجه بعد ذلك نحو القران الكريم، محملا ومشبعا بتلك التساؤلات والاراء التي تقدمها له التجربة البشرية الذكية، ليقوم بصياغة الموقف او المركب النظري او النظرية القرآنية تجاه ذلك الموضوع وتلك التساؤلات. من هنا يقول الشهيد الصدر في هذا السياق:" اذن فالمسألة هنا ليست مسألة استبدال وانما هي مسألة ضم الاتجاه الموضوعي في التفسير الى الاتجاه التجزيئي في التفسير، يعني افتراض خطوتين، خطوة هي التفسير التجزيئي وخطوة أخرى هي التفسير الموضوعي"[٣٩]

وعلى هذا الأساس فإن التحليل لمنهج التفسير الموضوعي والتشريح والمقارنة التي قام بها السيد الشهيد الصدر في تقرير الاسلوبين او المنهجين – مما لا سابق له في تاريخ التفسير الموضوعي، لذا يمكن ان يقال بحق ان التفسير الموضوعي الذي قدمه الشهيد الصدر يشترك اشتراكا لفظيا مع التفسير الموضوعي المشهور القائم على الجمع والترتيب للايات ضمن سياق وموضوع واحد، وعليه فالتفسير الموضوعي الذي ارسى اسسه الشهيد الصدر يمثل نوعا ومنهجا جديدا ابداعيا مبتكرا في ميدان التفسير.

من هنا يقول الدكتور عبد الجبار الرفاعي في تقرير هذه الحقيقة في سياق حديثه عن التوحيد بين التجربة البشرية وبين موقف القران الكريم من موضوعات الحياة، مؤكدا ان ما قام به الشهيد الصدر :" لم نعثر عليه في جل المحاولات التي جاءت بعد مشروع الشهيد الصدر او سبقته بقليل، وسمّت نفسها تفسيرا موضوعيا؛ لأنها لم تتعرف على مقومات هذا النوع من التفسير، فانزلقت تجاربها الى نتائج لا تتطابق مع ما ترمي له نظرية التفسير الموضوعي"(٤٠).

كما " اعتبر الدكتور شبلي الملاط محاضرات الشهيد الصدر استثنائية في ثروتها الفكرية والتحليلية، حيث تضمّنت مزجاً فعّالا بين الملاحظات التاريخية والسياسية والمنهجية على نص القران وأهميته البارزة"(٤١)

رابعا: الابداع على مستوى النقد في رسم معالم التفسير الموضوعي

وجه الشهيد الصدر عدة انتقادات للتفسير التجزيئي بصورته التقليدية، ولم يكن يروم من نقده سوى دفع العجلة التفسيرية خطوات الى الامام، منعا للتكرار واجترار القديم، والسير في افق واحد، لأن الشهيد الصدر كان ضمن منظومته الفكرية يرسم معالم أخرى للتفسير، فلم يكن ينظر للتفسير على انه بيان للمدلولات التفصيلية فحسب، بل كان يرى فيه أداة لعرض إمكانات الإسلام وقدرته على استيعاب مفاصل الحياة، لذا كان يركز على مسألة تحديد الموقف القراني أو المركب النظري أو النظرية القرآنية تجاه الواقع الموضوعي. من هنا يمكن استيعاب الخلفية التي يتكئ عليها فكر الشهيد الصدر في تأسيسه للتفسير الموضوعي وفق المباني والمعالم التي طرحها لهذا الأسلوب او المنهج، اذ كان يسعى الشهيد الصدر الى تجسيد مقولة شمول الإسلام لكل وقائع الحياة، وقدرته على استيعاب مشاكلها المختلفة، ومرونته على المستوى العملي.

كما ان أسلوب النقد لديه قائم على أساس التكامل، لا الهدم والاستبدال، ففي الوقت الذي قدم فيه نقده للتفسير التجزيئي وبيان انفصاله عن التجربة البشرية، وسلبية دور المفسر فيه،ومغايرته لأهداف ومقصد التفسير الموضوعي، فإنه اعتبر هذا النوع من التفسير يعتبر الخطوة الأولى التي يتوكئ عليها التفسير الموضوعي ليقوم بدور أوسع واشمل وأعمق، لذا يقول في هذا السياق:" اذن فالتفسير الموضوعي في المقام هو افضل الاتجاهين في التفسير الا ان هذا لا ينبغي ان يكون المقصود منه الاستغناء عن التفسير التجزيئي، هذه الأفضلية لا تتعني استبدال اتجاه بإتجاه وطرح التفسير التجزيئي رأسا والاخذ بالتفسير الموضوعي، وانما إضافة اتجاه الى اتجاه، لان التفسير الموضوعي ليس الا خطوة الى الامام بالنسبة الى التفسير التجزيئي ولا معنى للاستغناء عن التفسير التجزيئي باتجاه الموضوعي. اذن فالمسألة هنا ليست مسألة استبدال وانما هي مسألة ضم

الاتجاه الموضوعي في التفسير الى الاتجاه التجزيئي في التفسير، يعني افتراض خطوتين، خطوة هي التفسير التجزيئي وخطوة أخرى هي التفسير الموضوعي"(٤٢)

ولم يقتصر الشهيد الصدر في نقده على التفسير التجزيئي، بل وجّه نقدا آخر لما هو سائد بعنوان التفسير الموضوعي القائم على جمع الايات المشتركة في موضوع واحد ومن ثم استخراج دلالاتها والربط بينها، معتبرا هذا اللون من التفسير لا يخرج عن دائرة التفسير الترتيبي وان سمي موضوعيا، من هنا يقول السيد محمد علي ايازي في تقرير هذا المعنى:"في الحقيقة إنّ التصوير الذي صوَّره الشهيد الصدر عن التفسير الموضوعيّ هو نقدٌ لبعض محقِّقي ذلك التفسير. ويقول في هذا الأمر: مع أن جميع أولئك المحقِّقين قد جمعوا آيات مشتركة في موضوع واحد، وأضفوا عليه نوعاً من الترتيب المنطقيّ، واستخلصوا منه النتيجة، وبما أنهم لم يلتفتوا إلى التجربة البشريّة، ولم يتعلَّموا منها أيّ شيء، ولم يعرضوا الأمر على القرآن، ولم يقوموا بمقارنتها به، فإنهم لم يستطيعوا والأمر هذا أن يقدِّموا صورة كاملة عن النظريّة القرآنيّة. بينما كان بإمكانهم الأخذ بالنظريّة الشاملة للقرآن؛ وذلك أولاً: إنّ الموضوع من المواضيع الحياتيّة لدى الإنسان، ومن المشاكل النظريّة والعمليّة في المجتمع. ثانياً: تتعلّم البشريّة في هذا المجال طرق الحلّ، وذلك من التجارب التي تمرّ عليها، ويجب أن يكون المفسِّر على علم بهذا الأمر، وتعتبر المواقع القرآنيّة على صورة مقارنة استجوابيّة، بينما يكون الموضوع بالهيئة التي يفسّر فيها الوجود أو المسائل الاجتماعيّة أو الأحكام..."(٤٣)

وعلى هذا الأساس يمكن القول: ان معالم التفسير التي رسمها الشهيد الصدر لم تكن موجودة قبله مطلقا، وانما هي من ابداعاته وابتتكاراته الخاصة به هو،كما ان نبوغه وعبقريته وموسوعيته ساعدت على اتقان تطبيق المنهج الذي خطه، لذا " ذهب بعض الباحثين الى ان الشهيد الصدر هو اول من استخدم مصطلح الموضوعية بهذا المعنى، ناقلا بذلك التفسير الموضوعي الى مستوى اكثر عمقا"(٤٤).

خامسا: الابداع في رسم المعالم المستقبلية للتفسير

لم يكن ينظر الشهيد الصدر الى التفسير على كونه من الاعمال الفردية، بل كان يرى فيه من الخطورة والاهمية مما لا يمكن ان تؤدي حقه الاعمال الفردية المنفصلة؛ لانه بالتالي– وحسب ما يرى الشهيد الصدر – يعبر عن رأي القران ورأي الإسلام.

كما انه ليس من الاعمال الانية التي يمكن ان تبرز نتائجها لحظيا، وانما تحتاج الى جهد كبير وتجميع خبرات وهضم للتجربة البشرية بكل ما تحمله من تساؤلات ومشاكل ونظريات مطروحة في الميادين المختلفة الحياتية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها.

وعلى هذا الأساس كان يرى الشهيد الصدر في التفسير ليس ابرازا للمدلولات التفصيلية التي يقوم بها المفسر التجزيئي في دائرة النص، وانما ابرازا للنظرية القرانية ورأي الإسلام فيما يتعلق بجميع تطلعات الانسان ومشاكله وتساؤلاته هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان يرى في التفسير نوعا من الوقوف في وجه التحديات والضغوطات والأفكار التي يواجهها الإسلام، لذا كان يؤكد على ضرورة ان يكون للاسلام رأي في كل واقعة، وموقف نظري تجاه كل وجود فكري، ولما كان لكل عصر تحدياته الخاصة به التي تتطلب منه موقفا عمليا او نظريا تجاه تلك التحديات " اذن تكون الحاجة الى النظريات يعني الحاجة الى دراسة نظريات القرآن والإسلام حاجة حقيقية ملحة خصوصا مع بروز النظريات الحديثة من خلال التفاعل بين انسان العالم الإسلامي وانسان العالم الغربي بكل ما يملك من رصيد عظيم ومن ثقافة متنوعة في مختلف مجالات المعرفة البشرية، حينما وقع هذا التفاعل... وجد الانسان المسلم نفسه امام نظريات كثيرة في مختلف مجالات الحياة، فكان لابد لكي يحدد موقف الإسلام من هذه النظريات، كان لابد وان يستنطق نصوص الإسلام، ويتوغل في أعماق هذه النصوص لكي يصل الى مواقف الإسلام الحقيقية سلبا و إيجابا لكي يكتشف نظريات الإسلام التي تعالج نفس هذه المواضيع التي عالجتها التجارب البشرية الذكية في مختلف مجالات الحياة"(٤٥).

ومن خلال بعض المقارنات التي أقامها الشهيد الصدر بين علم الفقه وتطوره وبين علم التفسير وتوقفه، يمكن اكتشاف الرؤية المستقبلية التي كان يرومها الشهيد الصدر لعلم التفسير، اذ أن صحة المنهج مع الدرس المتواصل والمتراكم يفضي الى نتائج اكثر عمقا في كل علم من العلوم، فكان سعي الشهيد الصدر في رسم معالم هذا المنهج هو من اجل الوصول الى النتيجة المرجوة من وراء علم التفسير على طول الخط المستقبلي لهذا العلم، فتكون لنا نظرية قرانية في الاقتصاد الإسلامي، وأخرى في السياسة، وثالثة في الاجتماع، ورابعة في المعرفة وخامسة في الفلسفة وهكذا... من هنا يقول السيد الصدر في هذا السياق:" واكثر ظني ان الاتجاه التوحيدي والموضوعي في الفقه بامتداده وانتشاره ساعد بدرجة كبيرة على تطوير الفكر الفقهي وواثراء الدراسات العلمية في هذا المجال بقدر ما ساعد انتشار الاتجاه التجزيئي في التفسير على إعاقة الفكر الإسلامي القراني عن النمو المكتمل وساعد على اكتسابه حالة تشبه الحالات التكرارية حتى نكاد

نقول ان قرونا من الزمن متراكمة مرت بعد تفاسير الطبري والرازي والشيخ الطوسي لم يحقق فيها الفكر الإسلامي مكاسب حقيقية جديدة"[٤٦].

في الوقت الذي يمتدح فيه الشهيد الصدر الفقه لكونه سار في الاتجاه الموضوعي، الا انه يأخذ عليه مأخذين : الأول: انه لم يستنفذ إمكانيات وطاقات البحث الموضوعي بالاتجاه الافقي، بمعنى عرض الأبواب المتجددة في الواقع على الشريعة واستنباط الموقف الإسلامي منها. والثاني: عدم استنفاذ طاقة البحث الموضوعي بالاتجاه العمودي، بمعنى استخلاص النظرية الإسلامية في خصوص ذلك الموضوع. بمعنى ان الاقتصار على استنباط احكام البيع والربا والمزارعة والمضاربة وما شابه لا يكفي دون رسم نظرية إسلامية في الاقتصاد قائمة على أساس استنطاق النصوص الدينية.[٤٧]

لذا كان يحاول الشهيد الصدر ان ينبه ضمير الامة والمشتغلين بالمجال القرآني للخروج من حالة الركود الى الفعالية الفكرية، ورفع الانطباع الذي علق بالاذهان من كون المشتغلين بعلوم الدين منشغلين عن الواقع وعن حياة الانسان الفعلية، اذ التحديات ابلغ ومجالات الحياة أصبحت اكثر تعقيدا وتشعبا وتشابكا، لذا كان منهجه الذي رسم في التفسير الموضوعي يبغي من وراءه استنزال النص الى الواقع العملي، وفي الوقت نفسه رفع الواقع الى مستوى السير على مقررات المتعالي والخريطة الإلهية باعتبارها انضج خريطة تقود الانسان؛ لانها من وضع حكيم خبير، لذا يقول في هذا السياق:" ان قرونا من الزمن متراكمة مرت بعد تفاسير الطبري والرازي والشيخ الطوسي، لم يحقق فيها الفكر الإسلامي مكاسب حقيقية جديدة، وظل التفسير ثابتا لا يتغيرالا قليلا خلال تلك القرون، على الرغم من الوان التغيير التي حفلت بها الحياة في مختلف الميادين"[٤٨]

اشكال وجواب

اشكل الاستاذ المغربي عبد العالي العبدوني على على أطروحة التفسير الموضوعي عند الشهيد الصدر، بأنها مادامت مرتبطة بالتجربة البشرية فإن نتائجها ستبقى جزئية ومحكومة للزمان والمكان، لذا يقول:" ان هذه المدرسة على أهميتها تحاول الإجابة عن جدلية الواقع والخطاب، بإيجاد حيوية جدلية ذهابا وإيابا بين النص القرآني والواقع المعاش، الا انها في احسن الأحوال تجري تفسيرا مهجوسا بإشكالات الواقع وخاضعة لبعد الزمن واللحظة، ولا يمكن للهاجس الزمني والمكاني الا ان يكون مؤديا للتفسير مقرا في نفس الآن بالنسبية"[٤٩] ولهذا ارتى في كتابه (هرمنيوطيقا القرآن) ان يتجه اتجاها آخر اكثر شمولا وغير محكوما للزمان والمكان، وعلى هذا الأساس بقول:" وعليه تكون المنهجية التي نحن بصدد اثباتها وتثبيتها في نفس الان، ناظرة للقران

الكريم كموجود كلي خطابي لا نصي، بعدها نتنزل الى مرتبة الموضوعة (رأس هرم التفسير الموضوعي).."[٥٠].

وفي مقام الإجابة عن هذا الاشكال يمكن ان يقال : ان الموضوعات الجديدة التي تطرقها التجربة البشرية هي موضوعات متنوعة باستمرار، واذا ما اريد معالجتها من الناحية الشرعية لابد وان تعرض تلك الموضوعات على النصوص الإسلامية من قران وحديث، وبالتالي يتم تحديد الحكم الشرعي أو الموقف العملي منها، وقد طرقت هذه الموضوعات أبواب الشريعة مطالبة بتحديد الموقف منها، فتصدى الفقهاء والعلماء الى معالجة تلك الموضوعات معالجة شرعية، وقد امتدت تلك الاحكام التي قننها الفقهاء الى يومنا هذا سوى بضع اختلافات جزئية تابعة لدليلية الدليل وفهم الفقيه. من هنا اخذ الفقه يصبح اكثر شمولا على المستوى الافقي واكثر عمقا على المستوى العمودي، لان علم الفقه اتجه اتجاها موضوعيا.

كذلك فيما يخص المنهج الذي رسمه الشهيد الصدر لعلم التفسير، فإن ارتباط التفسير بالتجربة البشرية لا يجعل منه مقيدا بالزمان والتجربة او يكون نسبيا؛ لأن ذلك الارتباط يأخذ شكلين، شكل يكون فيه النص مسحوبا نحو التجربة البشرية، منفعلا بالتجربة، يطوّعه المفسر كيفما يشاء وبأي اتجاه يريد، ففي هذه الحالة يكون التفسير زماني ومكاني ونسبي.

اما الشكل الاخر فيكون فيه الارتباط مشرفا على التجربة، فاعلا فيها، موجها لها، وما دور المفسر الا كشف ذلك النوع من التوجيه، فيكون التفسير على هذا الأساس ذلك المتراكم المتطور –كما في علم الفقه – الذي يمثل موقف القران الكلي غير الخاضع للزمن ولا النسبية، موقف كلي يمثل النظرية القرانية تجاه تلك الموضوعات، وما تمثله التجربة البشرية الا ذلك التجسيد العملي للموضوع الذي يجعله اكثر وضوحا في ذهن المفسر، فالتجربة تفتح آفاق المفسر في تحديد ابعاد الموضوع فهي مقدمة للعملية التفسيرية وليست جزءا منها، من هنا يقول الشهيد الصدر في هذا السياق ان:" المفسر على ضوء الحصيلة التي استطاع ان يجمعها من خلال التجارب البشرية الناقصة من خلال اعمال الخطأ والصواب التي مارسها المفكرون على الأرض لابد وان يكون قد جمع حصيلة ترتبط بذلك الموضوع ثم ينفصل عن هذه الحصيلة ليأتي ويجلس بين يدي القران الكريم، لا يجلس ساكتا ليستمع فقط وانما يجلس محاورا،... وهو يستهدف من ذلك ان يكتشف موقف القران الكريم من الموضوع المطروح والنظرية التي بامكانه ان يستلهمها من النص، من خلال مقارنة هذا النص بما استوعبه الباحث عن الموضوع من أفكار واتجاهات"[٥١]

وعلى هذا الأساس فإذا استنفذ التفسير الموضوعي طاقته بالاتجاه الافقي والاتجاه العمودي، واستطاع رسم النظريات في خصوص الموضوعات المطروحة، فإنه يستطيع من خلال ذلك ان يعطي رؤية كاملة وشاملة لكل مفاصل الحياة، من خلال التعميق المستمر والبحث المتراكم، وبالتالي يمكن ان تكون تلك النظريات عبر الزمن والتراكم المعرفي، نظريات متجاوزة للزمان والنسبية، كما هو الحال في تطور النظريات العلمية في المجالات المختلفة من العلوم كالفيزياء والكيمياء والطب، والتي اكتسبت عبر الزمن عبورا للزمن والنسبية، فلو نظرنا الى الاقتصاد مثلا او السياسة او مسائل الاجتماع، فإنها من الأمور التي اثارها العقل البشري من اول وجوده على الأرض وحتى يومنا الحاضر يتداولها ويكررها سوى اختلاف في جزئياتها، وعليه فإن رسم نظرية قرآنية تتعلق بموضوع يمتد مع الانسان مادام موجودا على هذه البسيطة مع الاخذ بنظر الاعتبار ان تلك المعالجات التي ترسمها النظرية أمور تراكمية يمكن تطويرها وتعميقها، هل يجعل من تلك النظرية امرا مقيدا بالزمان واللحظة او مهجوسا بالواقع ؟!

من الترابط الموضوعي الى الترابط السوَري

تقدم الكلام عن التفسير الموضوعي او التوحيدي، اذ كان ينظر هذا الاتجاه في التفسير الى القرآن الكريم على انه مجموعة من الموضوعات لها ما بإزاء في عالم الخارج، ودور المفسر الموضوعي هو حمل التجربة البشرية ووضعها بين يدي القرآن محاولا التعرف على رأي القران فيما يخص تلك الموضوعات، من خلال جمع الآيات المتعلقة بتلك الموضوعات ومحاولة ربطها وتوحيدها، هذا فيما يخص التفسير الموضوعي عند الشهيد الصدر.

في الوقت نفسه طرح الأستاذ محمود الشهرستاني منهجا جديدا في فهم القران الكريم، دعى فيه الى ضرورة ملاحظة الترابط ضمن بناء السورة الواحدة، وقد أسمي هذا المنهج بـ (المنهج البنائي)

انطلق البستاني في تأسيس منهجه من فكرة الترتيب التوقيفي لآيات القران الكريم داخل السورة الواحدة، فالبستاني يرى ان النبي الاكرم هو من رتب القران الكريم، اذ امر كتاب الوحي بأن يضعوا الآية الفلاني في السورة الكذائية وهكذا.. فلم يكن ترتيب آي القران الكريم من الأمور الاجتهادية، وهذه الفكرة هي مورد خلاف بين المشتغلين بالمجال القرآني، الا ان البستاني اتكأ على الاجماع بتوقيفية الترتيب، لذا يقول:" أما بالنسبة الى.. إنتظام الايات القرآنية الكريمة في سور محددة فهذا أمر لم يبرز فيه تفاوت بين وجهات النظر إلا من شذ ولذلك كان الحديث عن هذا

الجانب مجمع عليه من أن الآيات القرآنية الكريمة كانت توقيفية"[٥٢] وهو كذلك، اذ نقل الاجماع عن غير واحد، قال الآلوسي:" فاعلم ان ترتيب آيه وسوره بتوقيف من النبي (ص) أما ترتيب الآي فكونه توقيفيا مما لا شبهة فيه، حتى نقل جمع منهم الزركشي وأبو جعفر الاجماع عليه من غير خلاف بين المسلمين، والنصوص متظافرة على ذلك"[٥٣] وعلى ذلك السيد الخوئي[٥٤]، بينما عارض جملة من علماء الامامية هذه الفكرة منهم القمي في تفسيره[٥٥]، والكاشاني، والمحدث البحراني، وكذا العلامة الطباطبائي اذ يرى ان ترتيب آيات القران الكريم لا يخلو من اجتهاد الصحابة[٥٦]، علما ان السيد الطباطبائي يميل ميلا نقلياً في التأسيس لمسألة الترتيب الاجتهادي للآيات.

من هذا المنطلق أسس البستاني لمنهجه في التفسير، وطرح عدة أسئلة مثلت دافعا رئيسي في تعقب بناء السور داخل القران الكريم، لذا يقول في سياق عرضه لدوافع ملاحظة عمارة السورة القرآنية:" يظل ثمة تساؤل مهم وهو: لماذا انتظم القرآن الكريم في (١١٤) سورة؟ ولماذا اتسمت كل سوره بطرح موضوعات محددة، قد تتكرر وقد لا تتكرر في سورة أخرى؟ ومع تكرارها في هذه السورة او تلك، لماذا ترد في سياق يختلف عن السياق الذي وردت من خلاله في هذه السورة او تلك؟ ولماذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يأمر كتاب الوحي بأن يضعوا الاية الفلانية في السورة الفلانية الى جانب الاية الفلانية... إلخ ؟ أما كان من الممكن مثلا ان تنتشر الايات القرانية على شكل مقاطع متفرقة دون ان توزع في سور مستقلة؟ وهل ان انتظامها في سور مستقلة، انما تم من اجل حفظها مثلا ؟ او من اجل توظيفها في صلوات او اذكار ونحوها؟ طبيعيا، لا... اذن: ثمة (اسرار) تكمن وراء انتظام القران الكريم في سور (مستقلة)، وهو ما يضطلع المنهج (البنائي) بتوضيحها."[٥٧].

كما يحاول الأستاذ البستاني في منهجه البنائي دراسة العلاقة او الأثر الذي يلقيه النص على المتلقي، لذا أشار مرارا وتكرارا الى المعنى الكلي والجزئي الذي يلقيه النص على ذهن القارئ، او ماتحتفظ به ذاكرة القارئ من معنى. كذلك يدرس من جهة أخرى الترابط بين موضوعات السورة الواحدة ومحاورها الاصلية والفرعية، وأدوات الربط التي تعين في انارة اهداف النص.

كما ذكر الأستاذ البستاني سبب عدوله عن الدراسة الموضوعية والترتيبية، مسجلا بعض عليها بعض الملاحظات، منها ان الدراسة الموضوعية وان كانت تحاول الرابط بين الايات المتعلقة بالموضوع المبحوث، وتسعى الى استنباط نظرية القران فيما يخص ذلك الموضوع، الا انها لا تدرس العلاقة بين موضوعات السورة الواحدة والترابط العضوي فيما بينها وما يلقيه النص على ذهن القارئ، وكذلك الدراسة التجزيئية، لذا يقول في سياق حديثه عن البحث الموضوعي والتجزيئي:

"وكلتاهما لا تتناولان السورة بما انها نص تترابط وتتناغم آياته ومقاطعه وموضوعاته وعناصره وادواته فيما بينها، خلا بعض الإشارات العابرة الى العلاقة بين بعض الايات او الموضوعات مع البعض الاخر تحت مصطلحات من نحو (النظم)..."[٥٨]

كما بين اختلاف الدراسات الحديثة من حيث جهة البحث مع ما يدرسه التفسير البنائي، مؤكدا ان مثل هذه الدراسات تتناول دراسة السورة من خلال الجو الفكر العام لها، او ما ترتكز عليه من موضوعات، وهذا الأثر الذي تتركه هذه الدراسات " يختلف تماما عن التناول البنائي او العضوي لها: أي صلة كل آية بما قبلها وما بعدها، وصلة كل مقطع بذلك وصلة هذه جميعا مع بعضها الاخر، وصلة النص من حيث بدايته ووسطه ونهايته مع بعضها..."[٥٩]. وعلى هذا الأساس يؤكد البستاني ان التناول الموضوعي الذي يقتطع الايات من جسد السورة، وكذا المنهج التجزيئي الذي يلحظ الايات دون ملاحظة

كذلك يبين الأستاذ البستاني بعد ان استعرض الدراسات السابقة، من موضوعية، وتجزيئية قديمة، ودراسات معاصرة، وبيّن نقاط الاختلاف بينها وبين المنهج البنائي، عطف على ذلك ان ما توفر عليه المنهج البنائي لم يقف عليه أي باحث قبله، لذا يقول:" أولئك جميعا لم يتوفر عليها دارس موروث أو معاصر، وهو ما حداني الى تبني هذا المنهج بطبيعة الحال"[٦٠]. وعلى هذا الأساس فإن المسلك البنائي بشكله الذي طرحه البستاني يمثل تجديدا وابداعا على مستوى المنهج.

جذور المنهج البنائي عند البستاني

يقوم المنهج البنائي على مجموعة من الاسس التي بنى عليها البستاني عمارة المنهج البنائي، ولكي يتعرف البستاني على عمارة كل سورة فإنه بحاجة الى اسلوب خاص يتعامل به مع طبيعة كل سورة من اجل التعرف على بنائها العام، وبالتالي ما يتركه هذا البناء على روح المتلقي من أثر، فالملاحظ في تعامل البستاني مع النص القرآني انه يلحظ جانبين في آن واحد: جانب النص من جهة، وجانب المتلقي من جهة أخرى. وعلى هذا الأساس يمكن توزيع الأسس التي اكد عليها البستاني في دراسته للنص القراني:

أولا : المعنى الكلي والجزئي

يرى البستاني عملية الادراك – كما هو معروف– تارة تبدء من الكلي باتجاه الجزئي، وهذا ما يعبر عنه بالاصطلاح (قياسا)، وأخرى تبدأ من الجزئي في رسم معالم الكلي، وهذا يصطلح عليه (استقراءا)، فعملية الادراك لا تخلو من احدى حالتين اما الاستقراء او القياس.

من هنا يعتقد ان ادراك القران الكريم وفهم معانيه وآثاره لا يخرج عن هذه الضابطة، فتارة تبدء عملية الفهم من الجزء الى الكل، وأخرى تبدء من الكل الى الجزء. وعليه فالمنهج البنائي لدى البستاني يحاول الانتقال من فهم مفاصل الجزء من اجل تحديد خارطة الكل؛ لان فهم الكل ككل له أهمية كبيرة في نظر البستاني لما يطرحه من تأثير على نفس المتلقي وهذا الأثر يختلف عن الأثر الذي يطرحه المعنى الجزئي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذا الأثر الكلي يمثل الهدف العام للسورة القرآنية، لذا يقول في هذا السياق:" ان قراءة النص (او مواجهة أي تجربة) لا تنحصر آثارها على المتلقي في جزئياتها فحسب بل ان الانطباع العام أو الأثر العام الذي تتركه القراءة لنص له أهميته أيضا"[٦١]

كما يؤكد البساتني على قضية غاية في الأهمية، وهي التي تجعل للنص رؤية وخبرة ومعرفة في التأثير على القارئ، لان كاتب أي نص حينما يرسم معالم النص الكلية قد يكون مستغرقا في عرض المادة العلمية على أساليب التأثير او النتيجة التي يخرج بها قارئ النص، او قد يكون متمحضا في التأثير على عواطف ومشاعر المخاطب دون ان يكون للمادة العلمية رصانتها وقوتها، اما النصوص الممتازة فإنها تراعي الجانبين معا، فمن جهة تكون الدقة العلمية حاضرة، ومن جهة أخرى تكون ملامح التأثير مرسومة بما يتناسب مع الهدف الخفي او المعلن. فالنص القرآني مع عرضه للحقائق من جانب، فإنه يرسم مسار التأثير وطريقه من جانب أخر، " فإذا كان هدف هذه السورة القرآنية او تلك هو: تعديل سلوك الانسان بالنسبة الى علاقته مع الاخرين مثلا حينئذ فإن قراءة سورة (كالحجرات مثلا) سوف تترك اثرا عاما بعد الانتهاء من قراءتها بنحو قد لا يتحسسه القارئ، ولكن النص نظرا لمعرفته بطرائق التأثير، حينئذ فإنه يسلك أساليب خاصة من حيث التقديم والتأخير لهذه الآية او تلك او لهذا الموضوع او ذاك، ومن حيث طرحه وفق أسلوب الرغبة او الرهبة او... الخ، ليتحقق من خلال ذلك هدفه الفكري في النص"[٦٢]

ثانيا: العمل التركيبي

ان الأساس الاخر الذي يقوم عليه المنهج البنائي هو الفعل التركيبي بمعنى ان يتناول المفسر السورة القرآنية من جهتين او محورين او اسلوبين: الأول: ويُعنى بتناول السورة القرآنية من حيث ملامحها الفكرية والموضوعية. والثاني: يُعنى بتناولها من الناحية الفنية والشكلية. والمنهج

البنائي هو منهج جامع بين الاسلوبين، لذا يقول الدكتور البستاني في هذا المقام " ان الدراسة التي توفرنا عليها تُعنى بالسمات (الفنية) الى جانب السمات الفكرية، حيث لا ينفصل أحدهما عن الاخر "[٦٣]

ثالثا: الترابط

يعتقد البستاني ان هناك ترابطا وتماسكا داخل السورة القرآنية يجعل منها لوحة واحدة، بحيث كل ضربة من ضرباتها وكل لون من الوانها يشكل جزءا مهما في رسم معالمها الكلية وأهدافها العامة والخاصة، وبالتالي بنائها وعمارتها، فوجود السورة الذي تشكله مجموعة من الآيات ليس امرا اعتباطيا من جمع يد الصدفة، وانما هو بناء محكم فُعِلَ بيد الخبرة، وزعت مواده وهندسته بشكل متقن قائم على الترابط العضوي بين أجزاء السورة الواحدة.

من هنا يرى البستاني ان هذا الترابط لايحمل شكلا واحدا او صورة واحدة وانما له أنماط واشكال متعددة يمكن اجمالها في أربعة أنماط لا على نحو الحصر المنطقي:

النمط الأول: الترابط القائم على أساس العلاقات

النمط الثاني: الترابط القائم على أساس الهيكلية البنائية(الشكل)

النمط الثالث: الترابط القائم على أساس الأهداف والموضوعات

النمط الرابع: الترابط القائم على أساس العناصر والأدوات

مشكلات لم تحل إلا على وفق المنهج البنائي في التفسير

مشكلة المكي والمدني

يرى الدكتور البستاني ان هناك جملة من السمات التي تُطرح في التفريق بين ما هو مدني وبين ماهو مكي، لا يمكن ان تشكل ضابطة منضبطة في التمييز، وعلى هذا لا يتوفر الباحث القرآني آنذاك على سبل التعامل مع الايات القرآنية؛ لان للمكي والمدني أهمية خطيرة في البحث القرآني، اذ يذكر الدكتور البستاني مثالا في تشخيص هذه الظاهرة، وهو الابتداء بعبارة (يا أيها الناس) بالنسبة للسور المكية، وعبارة (يا أيها الذين آمنوا) في السور المدنية، في حين ان هناك اتجاه يعترض على هذا الضابط،ويذكر انخرامه في أوائل سورة النساء في قوله تعالى: "يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون"[٦٤] فالآية تبدء بـ (يا أيها الناس) في حين انها مُسلم في مدنيتها!، وعلى الرغم من (ان هذا الاتجاه يرد على الاتجاه السابق باستشهاده

هذه الآية التي أصدرتها عبارة يا أيها الناس ليشير الى الخطأ مما ذهب الاتجاه الأول اليه، إلا أن هذا الاتجاه الأخير أيضا يظل صامتا إزاء هذه الظاهرة ولا يمتلك جوابا لذلك.."[٦٥] الا ان المنهج البنائي في التفسير يكسر هذا الصمت، عن طريق ارجاع هذه الظاهر الى طبيعة السياق، فالاية المتصدرة بعبارة يا أيها الناس قد وردت في المقطع الثالث من سورة البقرة، بعد ان تحدث في المقطع الأول عن المؤمنين، وفي المقطع الثاني عن المنحرفين والكفار والمنافقين، لذا فإن الذي يتناسب والمقطع الثالث هو تصدير الخطاب بعبارة (يا أيها الناس) لأنها اليق بالمناسبة والسياق، اذ لا يمكن ان يخاطب المنافقين والكفار بعبارة (يا أيها اللذين آمنوا)، وعليه فإن الذي فرض الخطاب في سورة النساء بـ (يا أيها الناس) هو طبيعة السياق لا العكس، بعبارة أخرى : ان الذي يوجه الخطاب هو طبيعة السياق، لا كون الاية مكية او مدنية[٦٦]. وهذا الاشكال لم يجد طريقا للحل عند المتقدمين بل والمعاصرين إلا من خلال منهج التفسير البنائي.

مشكلة الناسخ والمنسوخ

في هذا المورد يتحدث البستاني عن خضوع بعض موضوعات النسخ للبناء المعماري للسور القرآنية، ومن تلك المفردات هي الاية الاربعون بعد المائتين من سورة البقرة، والتي أجمع المفسرون على نسخها بالاية ثلاث وأربعين بعد المائتين من نفس السورة، ومن غير الطبيعي ان يتقدم الناسخ ويتأخر المنسوخ، اذ يجب ان تكون الاية الناسخة متأخرة عن الاية المنسوخة، في حين لم نجد تفسيرا لهذا النوع من التأخر في تأخر المنسوخ وتقدم الناسخ على لسان الباحثين في الشأن القرآني من المتقدمين والمعاصرين بل سكتوا عن بيانها، من هنا فإن تفسير هذه الظاهرة يشرحه الدكتور البستاني من خلال ملاحظة الايات في ضوء اطارها البنائي والهندسي، لذا يقول:" الطابع المشترك بين النمطين: المطلقة والتي لم تفرض لها فريضة او لم تسمَّ لها فريضة وبين المتوفي عنها زوجها وامتاع ذلك الى الحول، يظل هذا الخيط المشترك بينهما هو المسوغ لإتيان الاية المنسوخة بعد الاية الناسخة.."[٦٧]

مشكلة التحريف

يرى البستاني بغض النظر عن الأدلة المتعددة التي يمكن من خلالها نفي القول بالزيادة والنقيصة بالنسبة للقرآن الكريم، فإن للعنصر الايقاعي _الذي يمثل ركنا من اركان المنهج البنائي_ دورا ودليلا على نفي شبهة التحريف، " ان هذه الايقاعات لإنتظامها في نمط خاص من الصياغة.. يشكل دليلا واضحا على ان الايات الكريمة التي انتظمت في هذه السورة وتلك انما وضعت ضمن تخطيط خاص بحيث اذا زيد او نقص منها اختل النظام الايقاعي.."[٦٨]

مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية
مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية التربية الأساسية – جامعة بابل

نتائج البحث

١. ان فكرة المنهج الموضوعي الذي طرحها الشهيد الصدر تدور حول محور الربط بين الواقع ومشكلاته من جهة، والنص ومقاصده من جهة أخرى، وعلى هذا الأساس كان التفسير الموضوعي الذي عرض له الشهيد الصدر يمثل هم المفكر الذي يحاول شد الواقع للنص، وتفعيل النص في الواقع، وهذا الشد والتفعيل بين هذه الثنائية (النص/ الواقع) لا بد وأن يكون عن طريق رابط هو (التفسير الموضوعي).

٢. ان منهج التفسير الموضوعي بهيكله الذي طرحه الشهيد الصدر يجعل منه يشترك اشتراكا لفظيا مع التفسير الموضوعي بصيغته المشهورة، والا فإن التفسير الموضوعي بحسب الشهيد الصدر ليس فعلا ترفيا يحاول فيه المفسر جمع ايات القران التي تتحد في موضوع ما، ثم تحليل معانيها ومقاصدها، وإنما مهمة التفسير الموضوعي هي الشروع بالواقع ومشاكله وحلوله التي تقدمها التجربة الذكية البشرية، وفي مرحلة أخرى عرض تلك المشاكل والحلول بين يدي القرآن، فالمفسر يسأل والقرآن يجيب، وهذا يجعل من المنهج الموضوعي منهجا جديدا ابداعيا يختلف عن التفسير الموضوعي المشهوري.

٣. كما تبين ان الابداع داخل تكوين المنهج الموضوعي قد تجسد على مستويات عدة، منها: ما كان على مستوى الاصطلاح الذي أضحى فيه التفسير الموضوعي مشتركا لفظيا بين الصدر والمشهور. ومنها : ما كان على مستوى جذور التفسير الموضوعي ونقطة الشروع فيه. ومنها: ما كان على مستوى التحليل والنقد والمقارنة بين التفسير الترتيبي والموضوعي من جهة، والتفسير الموضوعي والموضوعي المشهوري من جهة أخرى. ومنها: ما كان على مستوى رسم المعالم المستقبلية للتفسير بشكله العام، والذي فيه يتحول التفسير من عمل فردي الى عمل تخصصي يراجع فيه المتخصصون معالجات التجربة الذكية البشرية لمشاكل الانسان، ثم بعد هضم تلك المشاكل والمعالجات يتحول التفسير في مرحلة تالية الى استنطاق القران الكريم وأخذ الإجابات منه، ثم يتم رسم معالم النظرية الإسلامية فيما يخص تلك الموضوعات.

٤. يعطي الدكتور البستاني لنفسه الريادة في تأسيس وبناء معالم التفسير البنائي، فهو سابق لطه العلواني، وليس هناك أي تزامن بينهما، هذا بالإضافة الى أن العلواني قدم نظرية خالية عن التطبيق، بخلاف البستاني الذي قدمهما معا، بل هناك من بنى نظريته على ما أبدعه البستاني من نتائج.

٥. يستند منهج التفسير البنائي الى أصل مهم وهو توقيفِية ترتيب الايات في السورة الواحدة، ويقيم البستاني على هذه القضية كل بناءه لدعائم التفسير البنائي، في حين لو تم نقض هذا الأساس لنهدم كامل البناء.

٦. يعتقد البستاني ان لكل سورة من سور القرآن الكريم هيكلا بنائيا، يشكل الموضوع الرئيس محوره، والموضوعات المتفرعة أذرعه، لتتشابك جميعها وفق نظام بنائي هندسي متقن، بحيث لا يمكن حل بعض معضلات في الفهم القراني الا بعد التعرف على هذا النظام.

الهوامش

(١) المازندراني، مولي محمد صالح، شرح أصول الكافي، ج ٢ الصفحة ١٣٥

(٢) انظر: الطباطبائي، محمد حسين، مطهري، مرتضى، أصول المعرفة والمنهج الواقعي، ج١

(٣) المصدر نفسه، ج٢: ص٥٩٤

(٤) انظر: نيكولسكو،بسراب، العبرمناهجية، تقديم : ادونيس، ترجمة: ديمتري افييرينوس،دار مكتبة إيزيس

(٥) جوادي آملي، عبد الله،تسنيم في تفسير القرآن، ج١: ٢١٤

(٦) عزيزي، غلام علي، ترجمة : حسن الهاشمي،دراسةٌ في أطروحة السيد الصدر، ص١٥

(٧) السبحاني، جعفر مفاهيم القران،،ج١: ص٨-٩

(٨) المصدر نفسه، ج : ١ ص : ٩

(٩) انظر: مركز فرهنگ و معارف قرآن، دائرة المعارف قرآن كريم، ج٨، ص٣٦٥.

(١٠) انظر: وقفات مع نظرية التفسير الموضوعي، نشر في مجلة الجامعة الإسلامية بغزة.

(١١) بن عمار، محيي الدين، جهود محمد عبد الله دراز في التفسير الموضوعي – دراسة وتحليل، ص٤٤٦

(١٢) السيد الكومي، احمد، يوسف القاسم، محمد أحمد، التفسير الموضوعي، ص١٦

(١٣) الفرماوي، عبد الحي،البداية في التفسير الموضوعي، ص٤١

(١٤) سعيد، عبد الستار،المدخل الى التفسير الموضوعي، ص٢٠

(١٥) نحو تفسير موضوعي لسور القران الكريم، الغزالي، محمد، منشورات بغدادي: الجزائر، ص٦

(١٦) السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن ج : ١ ص: ٨

(١٧) رحماني، احمد، التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقا، منشورات جامعة باتنة، ص٤٨

(١٨) جوادي آملي، عبد الله، جمال المرأة وجلالها، ص٣٨

(١٩) انظر: الصدر،محمد باقر، المدرسة القرانية، دار التعارف للمطبوعات، بيروت–لبنان، ص١٧

(٢٠) الصدر،محمد باقر،التفسير الموضوعي والفلسفة الإجتماعية في المدرسة القرآنية، ص ٣١

(٢١) انظر: الطباطبائي، محمد حسين، مقدمة الميزان في تفسير القرآن، ج١: ص٧

(٢٢) الصدر،محمد باقر، التفسير الموضوعي والفلسفة الإجتماعية في المدرسة القرآنية،ص ٣١

(٢٣) الحكيم،محمد باقر، التفسير الموضوعي، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر.

(٢٤) الصدر، محمد باقر، المدرسة القرانية، ص٢٩

(٢٥) المصدر نفسه، ص ٣١

(٢٦) الحكيم، محمد باقر، التفسير الموضوعي، الناشر: مركز الدراسات والأبحاث التخصصية للشهيد الصدر.

(٢٧) المصدر نفسه.

(٢٨) المبارك، صادق سليمان، ملامح الإبداع في التجربة التفسيرية للشهيد الصدر (قدّس سرّه). رسالة القلم ربيع الثانى ١٤٣٢ العدد ٢٦

(٢٩) انظر: الصدر، محمد باقر،المدرسة القرآنية، ص ١٢.

(٣٠) الحكيم، محمد باقر، تفسير سورة الحمد، ص: ١٠١

(٣١) انظر: ايازي، محمد علي، ترجمة: الشيخ كاظم خلف العزاوي، التفسير الموضوعي عند الشهيد الصدر قراءة تحليلية مقارنة،

(٣٢) انظر: الحكيم، محمد باقر،التفسير الموضوعي.

(٣٣) الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية، ص٢٤

(٣٤) المبارك، صادق سليمان، ملامح الإبداع في التجربة التفسيرية للشهيد الصدر (قدّس سرّه)، رسالة القلم ربيع الثانى ١٤٣٢ العدد ٢٦

(٣٥) حوار مع الشيخ احمد مبلغي تحت عنوان الخصائص المميزة لفكر الشهيد الصدر

(٣٦) كلمة الشيخ احمد مبلغي في المؤتمر الدولي الأول حول فكر السيد الشهيد محمد باقر الصدر بجامعة كربلاء، يوم الخميس ١٥ ديسمبر ٢٠٢٢

(٣٧) حوار مع الشيخ احمد مبلغي تحت عنوان الخصائص المميزة لفكر الشهيد الصدر.

(٣٨) الصدر، محمد باقر المدرسة القرانية،، ١٦

(٣٩) المصدر السابق، ص ٣٠

(٤٠) الرفاعي، عبد الجبار، المدلول الاجتماعي لاصول الدين عند الشهيد الصدر، ص٦١

(٤١) أبو زيد، احمد عبد الله، أطروحة التفسير الموضوعي عند السيد محمد باقر الصدر، ص٢١٦-٢١٧

(٤٢) الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية، ص ٣٠

(٤٣) ايازي، محمد علي، ترجمة: الشيخ كاظم خلف العزاوي، التفسير الموضوعي عند الشهيد الصدر قراءة تحليلية مقارنة،

(٤٤) أبو زيد، أحمد عبد الله، أطروحة التفسير الموضوعي عند السيد محمد باقر الصدر،،ص٢١٦

(٤٥) الصدر، محمد باقر،المدرسة القرآنية،، ص٢٩-٣٠

(٤٦) المصدر نفسه، ص١٥

(٤٧) انظر: المدرسة القرآنية، الصدر، محمد باقر، ص٢٥ ٢٦

(٤٨) المصدر نفسه، ص١٨

(٤٩) عبد العالي العبدوني، هرمنيوطيقا القران، ص٥
(٥٠) المصدر نفسه، ص٩
(٥١) الصدر،، محمد باقر،المدرسة القرانية، ص١٦-١٧
(٥٢) البستاني، محمود، دراسات في علوم القرآن الكريم، ص ٤٥١
(٥٣) الآلوسي، روح المعاني، ج١: ص٢٦
(٥٤) الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن،
(٥٥) انظر: القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، ج١: ص٢٠-٢١، وكذا ص٢٤
(٥٦) انظر: الميزان في تفسير القران ج١٢: ص١٢٧، كذلك: انظر علوم القران عند العلامة الطباطبائي، هندريجاني فرد، عارف، ص١٦٠
(٥٧) مجلة قضايا إسلامية معاصرة، رئيس التحرير: عبد الجبار الرفاعي، العدد الرابع، بيروت، ١٩٩٨ ص٢٦-٢٧.
(٥٨) المصدر نفسه، ص٢٥
(٥٩) المصدر نفسه، ص٢٦
(٦٠) المصدر نفسه.
(٦١) التفسير البنائي، البستاني،محمود، ص٧
(٦٢) المصدر نفسه، ص٨
(٦٣) المصدر نفسه.
(٦٤) النساء:
(٦٥) البستاني، محمود، دراسات في علوم القرآن الكريم، ص١٢٧
(٦٦) المصدر نفسه، ص١٢٩
(٦٧) المصدر نفسه، ص١٦٧
(٦٨) المصدر نفسه، ص١٨٠

المصادر والمراجع

١. أبو زيد، احمد عبد الله، أطروحة التفسير الموضوعي عند السيد محمد باقر الصدر، مركز الحضاره لتنمية الفكر الاسلامي،٢٠١١م.
٢. احمد السيد الكومي، محمد أحمد يوسف القاسم، التفسير الموضوعي، حقوق النشر محفوظه للمؤلفين، طبعه ١، ١٩٨٢م.
٣. الآلوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٤. ايازي، محمد علي، التفسير الموضوعي عند الشهيد الصدر قراءة تحليلية مقارنة،، ترجمة: الشيخ كاظم خلف العزاوي، الناشر: مجلة نصوص معاصرة، العدد ٢٧، لسنة ٢٠١٢م.
٥. البستاني، محمود، دراسات في علوم القرآن الكريم، الناشر: مدينة العلم، ط١: ايران – قم، ٢٠٠٧م.
٦. البستاني،محمود، التفسير البنائي، مؤسسة الطبع التابعه للاستانه الرضوية المقدسه، ٢٠١٩م.
٧. بن عمار، محيي الدين، جهود محمد عبد الله دراز في التفسير الموضوعي – دراسة وتحليل، جامعة الحاج لخضر، ٢٠١٢ م.
٨. جوادي املي، عبد الله، تسنيم في تفسير القران الكريم، الناشر: دار الاسراء للنشر؛ ط٢: قم ايران ٢٠١١م.
٩. .....، جمال المراه وجلالها،دار الهادي الطباعه والنشر والتوزيع، طبعه ١، ١٩٩٤ م.
١٠. الحكيم، محمد باقر، التفسير الموضوعي، الناشر: مركز الدراسات والأبحاث التخصصية للشهيد الصدر.
١١. .....، تفسير سورة الحمد، الناشر مجمع الفكر الاسلامي، طبعه ١، ١٤٢٠هـ
١٢. حوار مع الشيخ احمد مبلغي تحت عنوان الخصائص المميزة لفكر الشهيد الصدر.
١٣. رحماني، احمد، التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقا، الناشر: منشورات جامعة باتنة، الجزائر: ١٩٩٨م.
١٤. الرفاعي، عبد الجبار، موجز في الاصول الدين عند الشهيد الصدر، الناشر حبيب، طبعه ١، ١٤١٧هـ
١٥. سبحاني، جعفر، مفاهيم القران الكريم، الناشر: مكتبة الحائري الطهراني، قم ايران: ١٩٧٣م.
١٦. سعيد، عبد الستار فتح الله، المدخل الى التفسير الموضوعي، دار التوزيع والنشر الاسلاميه، ١٩٩١م.
١٧. الصدر،محمد باقر، التفسير الموضوعي والفلسفة الإجتماعية في المدرسة القرآنية،تقديم: جلال الدين الصغير، الناشر: الدار العالمية، بيروت لبنان، ١٩٨٩م.
١٨. .....، المدرسة القرانية،، دار التعارف للمطبوعات، بيروت–لبنان، ١٩٨١م.

١٩. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، الناشر: منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات؛ ط١: ١٩٩٧م.

٢٠. .....، اصول الفلسفه والمنهج الواقعي، تقديم وتعليق: مرتضى مطهري، ترجمة: عمار أبو رغيف، الناشر: المؤسسة العراقية، لا.ت، لا.ط.

٢١. عبد العالي العبدوني، هرمنيوطيقا القران، معهد المعارف الحكمه، ٢٠٠٧م.

٢٢. عزيزي، غلام علي، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، دراسةٌ في أطروحة السيد الصدر،، ترجمة : حسن الهاشمي، الناشر مجلة نصوص معاصرة، العدد ٢٩، لسنة ٢٠١٣م.

٢٣. الغزالي، محمد، نحو تفسير موضوعي لسور القران الكريم، دار الشروق، ٢٠١٩ م.

٢٤. الفرماوي، عبد الحي، البداية في التفسير الموضوعي، توزيع مكتبة جمهورية مصر،١٩٧٧م.

٢٥. القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، تحقيق وتصحيح: طيّب الموسوي الجزائري، الناشر: دار الكتاب، قمـ إيران، ١٤٠٤هـ.

٢٦. كلمة الشيخ احمد مبلغي في المؤتمر الدولي الأول حول فكر السيد الشهيد محمد باقر الصدر بجامعة كربلاء، يوم الخميس ١٥ ديسمبر ٢٠٢٢م.

٢٧. المازندراني، محمد صالح، شرح اصول الكافي، تحقيق وتعليق: الميرزا أبو الحسن الشعراني، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان، ٢٠٠٨م.

٢٨. المبارك، صادق سليمان، ملامح الإبداع في التجربة التفسيرية للشهيد الصدر (قدّس سرّه)، مجلة رسالة القلم، العدد ٢٦، لسنة: ٢٠١٦م.

٢٩. مجلة قضايا إسلامية معاصرة، رئيس التحرير: عبد الجبار الرفاعي، العدد الرابع، بيروت– لبنان،

٣٠. مركز فرهنگ و معارف قرآن، دائرة المعارف قرآن كريم (فارسي)

٣١. نيكولسكو،بسراب، العبرمناهجية، تقديم : ادونيس، ترجمة: ديمتري افييرينوس،دار مكتبة إيزيس، دمشق ٢٠٠٠م.

٣٢. وقفات مع نظرية التفسير الموضوعي، نشر في مجلة الجامعة الإسلامية بغزة.